# هل تراهن أمريكا على ' الإسلام المعتدل ' ؟

30-6-2002

**بقلم / ممدوح الشيخ**

**وبطبيعة الحال اعتبر كثيرون من خصوم الحركة الإسلامية في العالم العربي وخارجه أن الفرصة سانحة لتقليص نشاط كل التيارات الإسلامية مستفيدين من مناخ دولي موات ، أو هكذا تصوروه ، و " أتت الرياح بما لا تشتهي السفن " . فلم يفكر كثيرون في " الفرض المستبعد " : أن تربط الولايات المتحدة بين استقرارها و " تجفيف منابع الغضب " ، بوصفه احتجاجا على أوضاع سياسية ومعيشية مجحفة ، بدلا من " تجفيف منابع الإرهاب " بوصفه انحرافا في الفهم يؤدي إلى انحراف في السلوك . وكانت بوادر ذلك اتجاه كتاب أمريكيين مرموقين لتحميل أوضاع الحريات السياسية في العالم العربي مسئولية " تدويل الإرهاب " . وبغض النظر عن دقة التحليل فإنه كل يوم يكتسب أنصارا جددا في الدوائر الأمريكية المختلفة ، وقد أوردت " نشرة واشنطن " التي يصدرها مكتب برامج الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية الأميركية نص تصريحات صحفية لنائب وزير الدفاع الأميركي بول وولفويتز يرحب فيها باحتمال قيام نظام حكم " إسلامي معتدل " في إندونيسيا . وتأتي أهمية التصريحات من كون وولفويتز شغل منصب السفير الأميركي في جاكارتا ثلاث سنوات خلال الثمانينيات . وهو يرى أن الصفة الغالبة لتقليد إندونيسيا الإسلامي تتسم بالاعتدال والتسامح وأن الولايات المتحدة معنية بأن تحقق إندونيسيا تقدما اقتصاديا وسياسيا كي يقرن مسلمون خارج إندونيسيا هذه السمات بالنجاح**

**بقلم ممدوح الشيخ**

خلال عقدين من الزمان تقريبا يمتدان من مطلع ثمانينات القرن الماضي حتى الآن مرت علاقة الولايات المتحدة بمنعطفات كثيرة حادة وتراكمت لديها خبرات كبيرة ، بدءا من زوال نظام الشاه في إيران ، ومرورا بمرحلة مقاومة الغزو السوفيتي لأفغانستان ، وتخللت تلك الفترة أحداث أخرى فارقة لعل من أهمها اغتيال الرئيس المصري أنور السادات على يد متشددين إسلاميين في حادثة غير مسبوقة في تاريخ مصر الحديث . ومع انهيار المعسكر الاشتراكي في مطلع التسعينات بدأت تشيع في الكتابات السياسية الغربية مقولة أن " الإسلام هو العدو " ، بتنويعاتها المختلفة .

الفرض المستبعد

وبطبيعة الحال اعتبر كثيرون من خصوم الحركة الإسلامية في العالم العربي وخارجه أن الفرصة سانحة لتقليص نشاط كل التيارات الإسلامية مستفيدين من مناخ دولي موات ، أو هكذا تصوروه ، و " أتت الرياح بما لا تشتهي السفن " . فلم يفكر كثيرون في " الفرض المستبعد " : أن تربط الولايات المتحدة بين استقرارها و " تجفيف منابع الغضب " ، بوصفه احتجاجا على أوضاع سياسية ومعيشية مجحفة ، بدلا من " تجفيف منابع الإرهاب " بوصفه انحرافا في الفهم يؤدي إلى انحراف في السلوك . وكانت بوادر ذلك اتجاه كتاب أمريكيين مرموقين لتحميل أوضاع الحريات السياسية في العالم العربي مسئولية " تدويل الإرهاب " . وبغض النظر عن دقة التحليل فإنه كل يوم يكتسب أنصارا جددا في الدوائر الأمريكية المختلفة ، وقد أوردت " نشرة واشنطن " التي يصدرها مكتب برامج الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية الأميركية نص تصريحات صحفية لنائب وزير الدفاع الأميركي بول وولفويتز يرحب فيها باحتمال قيام نظام حكم " إسلامي معتدل " في إندونيسيا . وتأتي أهمية التصريحات من كون وولفويتز شغل منصب السفير الأميركي في جاكارتا ثلاث سنوات خلال الثمانينيات . وهو يرى أن الصفة الغالبة لتقليد إندونيسيا الإسلامي تتسم بالاعتدال والتسامح وأن الولايات المتحدة معنية بأن تحقق إندونيسيا

تقدما اقتصاديا وسياسيا كي يقرن مسلمون خارج إندونيسيا هذه السمات بالنجاح.بحثا عن أمن أمريكا

ورغم أن الموقف الأمريكي من قضية الديمقراطية موقف نفعي يحدده في المقام الأول مصالح الولايات المتحدة ، فإن ما يبدو أنها بدأت تربط قضية الديمقراطية في أماكن من العالم بأمنها القومي ، وتصوغ ذلك في خطاب يبدو مبدئيا وأخلاقيا وذا أفق إنساني . فقبل تصريحات وولفويتز بيومين تناول الرئيس الأمريكي بوش الفكرة نفسها في كلمة ألقاها في أكاديمية ويست بوينت العسكرية يدعو خريجي الكلية العسكرية للخدمة في الحرب ضد الإرهاب . أشار بوش إلى أن هجمات الحادي عشر من سبتمبر قام بها بضع عشرات من الرجال لديهم مئات آلاف الدولارات فقط من الدعم المالي . وأضاف : " إن أكبر خطر يتهدد الحرية يكمن عند مفترق الطرق الخطر بين الراديكالية والتكنولوجيا ، وخلافا للوضع أثناء الحرب الباردة ، فإن وعد الانتقام الهائل لا يعني شيئا بالنسبة إلى العدو وهو شبكات إرهابية غامضة بلا دولة أو مواطنين للدفاع عنهما . " ثم خلص بوش إلى أنه عندما يتصل الأمر بحقوق مشتركة وحاجات الرجال والنساء ، فلن يكون هناك تصادم حضارات . " فمتطلبات الحرية تنطبق كليا على أفريقيا وأميركا اللاتينية والعالم الإسلامي كله . وشعوب الدول الإسلامية تريد وتستحق نفس الحريات والفرص المتوفرة للشعوب في كل دولة. وعلى حكوماتهم أن تستمع إلى آمالهم ."الحرب غير المقدسة

وتتردد أصداء متفاوتة لهذا الخطاب في كتابات إعلامية وأكاديمية كثيرة في الولايات المتحدة ، وفي قبل أقل من شهر أصدر الكاتب الأمريكي المعروف جون أسبوزيتو كتابا جديدا يحمل عنوان : " الحرب غير المقدسة، الإرهاب باسم الإسلام " . ويعد إسبوزيتو أحد أبرز المتخصصين في الإسلام في العالم الغربي ، إذ وضع ثمانية كتب وحرر اثني عشر كتاباً حول الإسلام ، منها " معجم أكسفورد للإسلام " و " موسوعة أوكسفورد للعالم الإسلامي الحديث . " وهو ، إلى جانب ذلك، أستاذ محاضر في مادة الديانات والشؤون الدولية والمدير المؤسس لمركز التفاهم الإسلامي-المسيحي، التابع لكلية وولش في جامعة جورجتاون بواشنطن العاصمة . وقد أحدث كتابه " التهديد الإسلامي : حقيقة أم خرافة" ضجة كبيرة عندما نوقش في القاهرة مؤخرا رغم أنه صدر قبل هجمات الحادي عشر من سبتمبر ، وكتابه الجديد مرشح لجدل لا يقل سخونة .

وقد طرح المؤلف تصوره للسياق الصحيح الذي ينبغي أن توضع فيه أحداث الحادي عشر من سبتمبر في كلمة ألقاها في معهد الشرق الأوسط في واشنطن ( 6 – 6- 2002 ) ، محذرا من أن صدى مضاعفات الماضي ما زال يتفاعل في النفس المسلمة ، فلقد أحدثت تركة الاستعمار الأوروبي جرحاً غائراً في المسلمين في كل مكان ، وطوال قرون ظل المسلمون والمسيحيون ينظر كل منهما إلى الآخر عاقدا العزم على قهره ، أو تغيير دينه ، أو إزالته من الوجود . وعليه ، ( نظر كل منهما إلى الآخر ) على " أنه عدو الله." ، وكان الإسلام ، بالنسبة للغربيين ، ديانة السيف والجهاد أو الحرب المقدسة ، بينما كانت المسيحية ، بالنسبة للمسلمين دين ، الحروب الصليبية وطموحات الهيمنة. أما السياق الذي يراه السياق الصحيح لظاهرة بن لادن فهو أنه يستغل بذكاء : " تظلمات معينة من أنظمة حكم في بلاد إسلامية ومن الولايات المتحدة يشعر بها مسلمون على نطاق واسع معظمهم من غير المتطرفين ." كذلك يقدم إسبوزيتو عروضاً موجزة عن حركات إسلامية كالإخوان المسلمين في مصر ، وحماس والجهاد الإسلامي في فلسطين ، وحزب الله في لبنان ، وجبهة الإنقاذ الإسلامية في الجزائر ، ويشير إلى أن عدداً من دول الشرق الأوسط تشهد حالياً انبثاق : " تيار إسلامي غير عنيف ، فعال سياسياً ، لا يرفض الديمقراطية ، وليس مناهضاً للغرب " . الملفات المتشابكة

غير أن هذا الخطاب رغم أنه ينطوي على جديد يشكل تحولا نوعيا ينتظره احتمالان الأول : أن تصبح المصالح الأمريكية واقعة تحت تهديد – متعين أو متصور – من القوى التقليدية المنافسة للإسلاميين ، الأمر الذي قد يعيد الموقف الأمريكي إلى وضعه السابق من تفضيل حماية مصالحها

، والاحتمال الثاني : أن يتحطم الرهان تحطما مأساويا على صخرة الموقف الأمريكي من الكيان الصهيوني . فالكيان الصهيوني يمثل للولايات المتحدة قيمة روحية إلى جانب أهميته الاستراتيجية التي لم يفقدها بعد ، ومركزية تحرير فلسطين في الرؤية الإسلامية من القضايا التي لا تحتمل المساومة ، وبخاصة أنها أحد أهم مصادر مصداقية الحركة الإسلامية في نظر جماهيرها .
قد تكون إندونيسيا - البعيدة جغرافيا عن ميدان الصراع العربي الصهيوني - مكانا مناسبا لتجربة أمريكية تختبر فيها مدى إمكان التعايش مع نظام " إسلامي معتدل " ، أما في المنطقة العربية فالمحاذير كثيرة والمخاطر جمة ، وبخاصة أن الإسلاميين يشكلون في عدة أقطار عربية أهم تيارات المعارضة السياسية وأكبرها حجما وأكثرها أنصارا . ولن تغفل الولايات المتحدة عن احتمال أن تتغير خريطة المنطقة تغييرا شاملا إذا وصل الإسلاميون إلى الحكم في دولة من دولها ، فهل تراهن الولايات المتحدة هذا الرهان ؟ وماذا عن الإسلاميين ؟
مما لا شك فيه أن هذا الخطاب الرسمي الأمريكي يعني أن مقولة أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر ترجع إلى انحياز الولايات المتحدة السافر للكيان الصهيوني لم تلق آذانا صاغية في دوائر صناعة القرار الأمريكية  فها هي تبحث عن العلاج في مكان آخر وتربط أمنها – لا بموقفها المنحاز للكيان الصهيوني – بل بحالة الحريات السياسية في المنطقة العربية . وفي حقيقة الأمر فإنها حافظت خلال التسعينات على اتصالات غير معلنة ببعض هذه الجماعات التي تعتبرها معتدلة ، وهي أحدث الكشف عنها غضبا معلنا من بعض الدول التي تربطها بالولايات المتحدة علاقة صداقة . فهل تتغلب الولايات المتحدة على مخاوف كثيرة تراكمت خلال العقدين الماضيين ؟
وإذا كان الموقف الأمريكي الجديد قد بدأ يخرج للعلن بصياغات مختلفة ، فإن الفصائل المعتدلة من الحركة الإسلامية التي تبدو مرشحة لأن تكون طرفا في هذه الصفقة لم تخرج عن صمتها ، وستتعرض مصداقية الموقف الأمريكي للكثير من الاختبارات المهمة على المدى القريب .
فعندما ساندت الولايات المتحدة المطالبة بإدخال إصلاحات على السلطة الوطنية الفلسطينية ، وهي مطالبة كان طرحها - حتى وقت قريب – من المحرمات ، صدرت استجابة إيجابية عن أطراف فاعلة في النظام الرسمي العربي مستحسنة إعلان عرفات بدء الإصلاحات ، وهو ما قد يغري قوى أخرى بأن تحاول الاستفادة من الموقف الأمريكي الذي أثبتت التجربة أن مطالباته تجد قبولا لا تحظى بمثله المساعي الوطنية للتغيير . لكن قبول الولايات المتحدة التعايش مع نظام إسلامي لن يكون مجانيا ، وغالبا يكون الثمن المطلوب موقفا أكثر " مرونة " في الصراع العربي الصهيوني ، فهل يغامر الطرفان هذه المغامرة ؟؟ !!

للعودة للأعلى